أناهيت

خزعل الماجدي

أناهيت

تأليف
خزعل الماجدي

هنـــداوي

أناهيت

خزعل الماجدي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٧٠٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور خزعل الماجدي.

المحتويات

أناهيت الصباح	١١
أناهيت الضحى	١٩
أناهيت العالم	٢٧
أناهيت العصر	٣٥
أناهيت الغروب	٤١
أناهيت الليل	٤٧
الغلاف الأخير: أناهيت	٦٣

أناهيت.

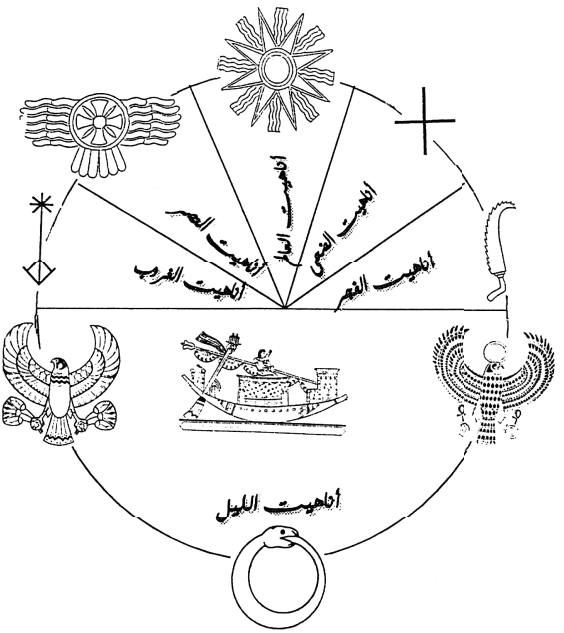

مسرى الشمس أناهيت

خلقتُه قَلِقًا
فكيف يستقر؟!

أناهيت الصباح

صياغات

أصوغ فمي وأنا أتكلمُ عنكِ.
أصوغ عيوني وأنا أنظرُ إليكِ.
أصوغ أقدامي وأنا أتقدَّم نحوكِ.
أصوغ يدي وأنا ألمسكِ.
أصوغ رئتي وأنا أتنفَّسكِ.
أصوغ نهاري وأنا أخفقكِ.
أصوغ مصيري وأنا أتبعكِ.

أصوغ عقلي وأنا أفكِّر بكِ.
أصوغ العالمَ وأنا أحبُّكِ.

تراشق الفينيق

مسرى موكب سفنك من بعيد،
ومسرى طيور سنواتي تتهدَّم في الماء.
عيوني وقفت على مجاذيفك، وحركت قاربَك بخفة وحزن نحوي، القارب حرَّكته عيوني، أحضِّر كأسي.
تراشق الفينيق في الأعالي.
طائر الشمس يطلع من الماء ويحترق.
أنفاسي وقفَت على يديكِ وحركت قاربَكِ بخفةٍ وحزنٍ نحوي، القاربُ حرَّكته أنفاسي، أشمُّ رائحة الكأس، الضوءُ يتناسل حول مجاذيفِكِ، الرياحُ تتكاثرُ حولَ يدَيكِ، أنتظر قدومَك وأهيِّئ لكِ عيوني وأنفاسي.

تراشُق الفينيق في الأعالي.
نخلةٌ بطلع أحمر،
وخضابٌ يبلُّ السماءَ.

قلبي وزنتُه لكِ فكان موفيًا، تنفرط خرز مسبحتي، قامتي قِستُ طولها،
فكانت قدرَ قامتك، الخمر يصعد حتى عيوني.
فعساي أكون مُبرَّأً مِن النقص، عساي أكون مُبرَّأً مِن الظلام، الظلام الذي في اللحم والعظام. الهيام أولًا ثم الغناء.
تراشق الفينيق في الأعالي.
شعب أحمر يدجِّج السماء بِصاياتِهِ الأرجوانية،
وينوح ...
عساي أدخل في أُقْنُومك، وعساي ألتفُّ في صالاتك مثل حية وألدغ مَن حولك، وعساكِ تجددين لي أعضائي،

التراشق في الأعالي
طينٌ من قاع البحر أحمر
يدرز السفن.

عسى الهواء يتكاثر في أنفي ويحرِّكُ صدري أشدَّ وأجمل،
عسى الضوء يزداد في عيوني، وعساكِ تخلطيني.
التراشق يزداد.
خمورٌ تفوح مع ألسنة اللهب.
عساه يزداد في فمي ويُنطِقُني، عساك تُشمِّسيني، الهواءُ الذي هو نفخةُ الحياة مِن فمك، التراشُق يتعالى.
هيكل الشمس بين دجلة والفرات،
عساه يزداد ليجذبَك ويجذبني.

التراشق التراشق.
أصلكِ من إريدو
أيتها المُحمَّصة بالشمس.

دمٌ يطوف

ومضى في مجاعِله وتلقَّف آخرئذٍ الأرض،
فقالت له:
لنقم في الزرع ونغرف، من البحر، سمكًا ونصنع لنا اسمَين.
فقال: نعم، أريد ذلك.
فانتشر الطلعُ في شقوق الأرض وأخصبها
وطالَ نسلُهما أبعدَ الآفاق، وانتشرتُ في جسد أناهيت، أشمُّ المقفلَ الغامضَ وأعمى يومًا بعدَ آخر، فقالت:
ها أنت الآن جزء مني، ها أنت في جسدي،
فتكاثر يا حبيبي ... تكاثر واجعل أعضاءك تنشطر،

ولتكن أجلَّ مخلوقٍ بين هذه المخاليق. وفي جسدي ليكن عشُّك ودثارك وقسوتك وشرابك؛
ولذلك أسمِّي جسدي الليلَ وأسمِّيكَ الدم، فلعلك تبقى هكذا إلى الأبد.
دمٌ يطوف في ليل.

أيها الماضي

رأفةً بي أيها الماضي!
رأفةً بي!
لا تجرجرني هكذا في صالاتِكَ كالذبيحةِ.
لا تذهب بي إلى الغرف المغلقةِ.
لا تقرأ لي هذه الشفرات على الحائطِ،
ولا تلك الرموز في عيون مَن أحببت.
رأفةً بي يا تاريخَ جسدي!
لا تتعجَّل وتُشعلني في فراديسك
أنا الواجم الملتبس.
مَن، إذا مرَّ عليَّ، لا يجدني أُحدقُ في المطلق؟
أنا الصافن في الجوهر،
المخدوع بخرائطي، أنا المتبتِّلُ.
مَن، إذا مرَّ عليَّ، لا يجدني أصلِّي؟
أنا المزدحم بالعبادة، أنا الجِرارُ تتدفَّق.
مَن، إذا مرَّ، لا يتبتَّل؟
أنا أول المياه (إنكي)،
بكلمتي تتقدم أقدامي،
بكلمتي طعامي يتوفَّر،
بكلمتي المنغلق ينفتح.
أنا الناسلُ.
مَن، إذا مرَّ عليَّ، لا يجدني أزرعُ؟
عندما حضنتُ الليلَ انولد الفجرُ،

عندما حضنتُ الفجرَ انولدَت الكلمةُ.
رأفةً بي أيها الماضي، رأفةً بأوهامي!

أنتِ يا مَن بالزهور

أنتِ، يا من بالزهورِ تضربين أعضائي فتُشفَى،
زهرةٌ لرأسي اسمُها يدُكِ،
زهرةٌ لوجهي اسمُها مرآتُكِ،
زهرةٌ لأذني اسمها أغنيتُكِ،
زهرةٌ لفمي اسمها كأسُكِ،
زهرةٌ لحنجرتي اسمها أصابعكِ،
زهرةٌ لذراعي اسمها قيودكِ،
زهرةٌ لضلعي اسمها حَوَّاؤكِ،
زهرةٌ لفخذي اسمها فخذُكِ،
زهرةٌ لساقي اسمها طوقُكِ،
زهرةٌ لقدمي اسمها أرضكِ،
أنتِ، يا مَن بالزهور ...

أدخل عليك

هَبْني أدخل عليك وأنتَ خارج شرنقَتِكَ،
فسأجمع آنذاك أجزاءك،
وأصِلُ قِطعَك.
بعض تاريخكَ في يدي،
وبعضه في قلبي،
فلماذا أنتَ بعيد؟
هَبْني أدخل عليك وأنت في غفرانِ خطاياك،
فسألضم خرز عيونك وأشتل حَنْدَقُوق فمك،
وسأغطيك بأغشيتي الماجنة.

ماذا تخبئ هناك؟
ماذا تخبئ في جمالك؟
ماذا تخبئ في هدوئك؟
هَبْني أدخل عليك،
فسأبل فمك بكلام غريب،
وسأطعمك الحروف وأشرق في لسانك.
هَبْني أدخل عليك،
فسأقيم المدينة لأجلك وأضيء مسالكها
بنفخة من فمي، وأجعلها لك شمسيات مفتوحات،
وسأضع لمجذافك الدفة ولحصانك السرج ولبرجك العيون.
قربي أو قرب النبع،
ستظهر فراشات غريبة ... تغني.
هَبْني أدخل عليك،
فأدخل فيك وأتجول في حقولك،
وأشم أعضاءك،
وأصنع مقامًا لي هناك،
أعرِّش في شراييني،
وأتدفق.
زُخَّ عليَّ يا مطر،
زُخَّ عليَّ واغسل مكياجي،
ودعني أشبه الطبيعة في كل شيء.

قبل أن أجيء

قبل أن أجيء
درزتُ عظامي، وشكَّلتُ فخذي،
شكلتُ يدي وذراعي لك.
قبل أن أجيء
أزهرتُ بستاني، وعطشتُ فمي،

ودهنت عيوني بك.
قبل أن أجيء
جعلت وجهي شاحبًا،
وقامتي مثل غصن؛
لأليق بكَ.
قبل أن أجيء
أضأتُ شَعري وطيبته،
جعَّدتُه لك وطويتُ فيه نجومًا وآسًا،
ولك دورقتُ صدري، وهيَّأتُ مزارع التين
تحت جلدي.
قبل أن أجيء
ضربت بشرتي بأعوادِ خوخ،
ووضعت المشاعلَ في عظامي.
قبل أن أجيء
أوقفتُ قلبي عن الدقِّ،
ورئتي عن النَّفَس،
ورأيت أنك ستُعيدُ الدقَّ لقلبي أقوى،
والنَّفَس لرئتي أشد.

أناهيت الضحى

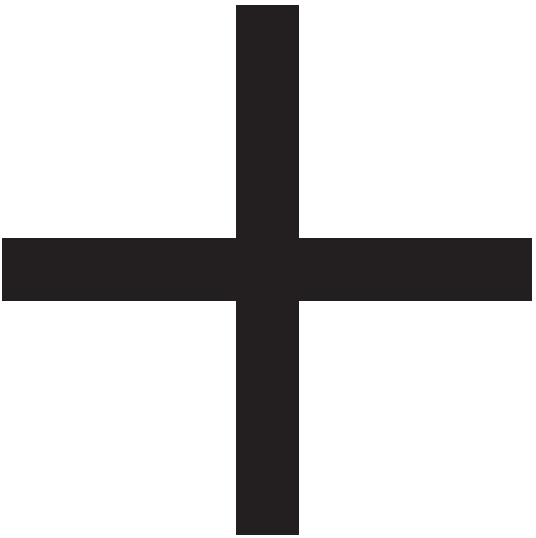

مُدثَّرةٌ في فراشكِ

كان زبدُ الفجر يتساقَطُ من أصابعي.
أمام المرآة كان الظلامُ شقيًّا، وكنتِ مدثرةً في الفراشِ والزرعُ مدثرٌ. أمام المرآة كان زبدُ الفجرِ يتصاعَدُ مثل رفيفِ الأجنحة.
أولُ الفجرِ كان يتساقطُ على فخذكِ العارية،

وأنتِ مثل أفعًى كونيةٍ مدثرة في ماء الظلام والماءُ مدثرٌ، لك أجنحة رطبة تضرب الياقوتَ وتضرب الوردَ.

أمام المرآةِ أفتح عينيَّ المجروحتَين.

الماء الذي هو دمكِ يحوم خفيةً في العالم.

الطيور التي هي أعضاؤكِ تُطبِق أجنحتها على المآذن، أغلفةُ الأرضِ التي هي دثاركِ تلفِّينَ بها العيون، شعلتُكِ المجروحةُ فوق معبدٍ مهجورٍ،

وأسرارُ طريقكِ تحت المسلَّات.

تُلامسين الشجرَ فينبض ... والخشبَ فتظهر الكمنجات ... والكمنجاتِ فيتطايرُ الأفق.

الهواء الذي هو أنفاسُكِ تُغدقين به على العالَم.

أمامَ المرآة كان الفجرُ يدخل بيوتَ النملِ ويدخل عنقي، وأنتِ تلفِّين الأرضَ بنُعاسك، الساقيةُ تلكز حيواناتِها الراقدة، تلفِّين الأرضَ بتمتمات شجاعةٍ على زهرةٍ صفراءَ يابسةٍ.

أقف قبالتكِ:

أفعى مدورة مثل حلقات، ورأسكِ نائمٌ في وسطها.

على زهرةٍ أصلي لتراخي السماءِ فيكِ،

وأنتِ في دمعةٍ تنبضين،

من الليل تكون أدواتُك، ومن الأنهار تتوقَّدين، كلماتُكِ ترتِّل فصلَ السماءِ عن مشيمة الأرض، كلماتُكِ التي هي مدُّ جسدِكِ وجزرُه.

رائحتُكِ ... رائحة نومِكِ تضبط إيقاعَ الحصاد،

وحرير ثَديَيكِ غلَّةٌ فريدة.

من السماء يسقط صولجانُكِ وبه تُنقِّطين جسدك، وتُزيِّنين فتحاتك،

وتنقشين خرائطَكِ في النفوس.

على زهرةٍ صفراء أُمسِك غصني وأترقبُكِ،

أنفاسُكِ حركةُ العشب، ونظراتك الغبطاتُ،

نحن ندور في دمِكِ، ونلهجُ بذكر اسمكِ،

ولا ندري.

مرحى أنوثتكِ

أنثى العالم ... يا أنثاي!
أيتها الممدَّةُ في سريري!
خطوطُكِ تُشبك عروة قلبي، وتشبكُ جذورَ لساني،
كُلِّي مخرَّم بأنوثتِكِ،
وكلُّ أنوثتكِ ساطعةٌ بصفائح ذهبي،
مرحى أنوثتك!
مرحى فمك ينفتح على آية خلق، وينغلق على آية هلاك!
مرحى أنوثتك تطبقُ ثعابينَها على جذعي!
مرحى أنوثتك قامات في استقبالي،
أغرق في حجركِ،
وتغرقين في حجري،
أتعرَّى في أنوارك،
وتتعرِّين في ألطافي.
مرحى أنوثتكِ تشرب الطعناتِ وتنتشي!
مرحى أنوثتك تُشعل الحصادَ وترتوي،
مرحى فحيحُكِ يشطر عيوني!
مرحى أنوثتكِ تخيط لي الأرضَ!
مرحاها تترع الكأس ... وتترنَّحْ.

كلُّ هذه المعابد

كلُّ هذه المعابد
أغلقت أبوابها،
أما معبدُ جسدكِ فما زال مضيئًا.
اليدُ التي مددتِها، مناراتُكِ، تُغلفُها الغيوم.
الكأسُ الذي قدمته، قبابكِ، غامضٌ مذاقُه،
ولا يزول.

الأغصان التي زرعتِها في تراب سِنِيني
هيكل فضةٍ نابض.
أناهيت النرجسةُ الفخمةُ التي عرَّشت في سمائي.
بيننا البروقُ تفضحُ القرابين.
بيننا الأناشيد المحمولةُ على شفاهِ الرعاةِ.
بيننا السرابات المرحة.
بيننا هتاف اللذات:
كأس اللذَّة، الكأس الذي شرابه حارٌّ وشهيٌّ
غاباتها، الفراشات متناسلة.
بيننا سعادة البذور:
أناهيت حرثَت الأرضَ التي بيننا ونثرت البذور.
أناهيت غابةُ الطلع، الغابةُ التي لا تنتهي.
كل هذه المعابد
أغلقت أبوابها إلا غاباتها.

يدك خيبرى

تضيء وتغسلُ الأفقَ من نجومٍ مكسَّرةٍ،
كأن زجاج الظلام تكوَّمَ خارج وردِكِ.
يدُكِ الخيول تفتح دربَ الخروجِ إلى ما رواه الزمان
عن الكائنات الخفيفة تعلو وتهبط.
يدُكِ الشهوات تفتِّح غوري درجةً درجةً.
يدُكِ راعيةُ الماء تفيض بي وأغرف بها.
يدكِ ... يدكِ تُنيم حيواناتِ الليل وحيواناتي.
يدكِ تلكز الغيومَ فتهرب.
يدُكِ العصا تهشُّ غنمَ الضحى.
يدكِ الفراشةُ تحيط النارَ وتُشعلها.
يدكِ الوردةُ تفوح.
يدكِ عرقُ الذهب في حَجَر يدي.

يدكِ الماسةُ في فحم يدي.
يدكِ يد الشمس تُشفق.
يدُكِ الكأسُ يبرد.
يدكِ القبضة، قلبُك، طحالك.
يدكِ ... التي أبوسها فأغيب.
يدكِ القطة تتغنَّج.
يدكِ المعنى يتسرَّب.
يدكِ المشمشة تموع.
يدكِ القطيفةُ أطويها.
يدكِ الرحمةُ في كلِّ ضنكٍ.
يدكِ، التي هي كل هذا،
قبضةُ مصيري وقِماطي.

الغرانيقُ العُلا

الغرانيقُ العُلا في التيه
إن لم تُحضري الشموعَ فلن يعدْنَ،
اللائي شربهن جَمرُك فاتَّقَدن.
متى ترفعينَ عيونَكِ لتَرَي حُرَّاس الإلهات وقد بلَّلهن المطر؟
متى ترفعين صولجانكِ لكي تمسخي، مَن سرقوا تماثيلكِ، إلى عقارب؟
متى يصل حنوك إلى عمَّالك الذين يقيسون
شهقاتِ الطبيعة لك ببوصلاتهم؟
متى ترعَينَ طيورِكِ الطائرةَ مِن مِياهٍ إلى مِياه؟
أناهيتُ تكتب على دفتر الكيمياء رمزَ النحاس،
وتعبر بين غصون النبات.
مشيتها بغدادية وغنجها يحرق الشارعَ.
أناهيت ضوءٌ يتكوَّم في ظلام المدينةِ،
تعبر بحذاءٍ مِن ماءٍ شارعَ حيفا،
وتعبر الجسرَ صوب مدينة الطب،

ومِن هناك تطير على فرسها إلى العامريةِ
وتعبرُ جسرَ العامرية وتصل إليَّ
كانت خطواتُها تنقل معها البذور،
وكانَت سلالات الظباءِ تتحشَّدُ للركض خلفَها،
والغرانيقُ العُلا خرجْنَ من معجنِ الصلصال،
وخلقْنَ لها العربات والوصيفات والخدم.
الغرانيق أعدْنَ الشموعَ إليها؛
كي تبحث عني.

حبَّة الرمان

هل أنوثة الكون مجهولةٌ إلى هذا الحد؟
هل أخفقوا في الوصول إلى ما يدلُّ عليها؟
إذن لماذا أشعر بأمواج هذه الأنوثة ترشق قلاعي؟
لماذا أشعر أنَّكِ مِن وراء البيوتِ والشوارع تضربين عيوني بأنوثتكِ؟
لماذا أنوثتكِ تشحن أنوثةَ الكونِ باتجاهي؟
أنثى، مَن هي أنثى، بل تفوق.
أنثى، مَن هي ليست أنثى، بل تفوق.
وضعَت يدها على رأسي وأشارت،
فتدفقَتْ عيوني ضوءًا.
أناهيتُ ملأَت كئوسَها وطافَت بين الناس،
وخصَّصَت لي كأسًا،
كانَت تقدِّمه لي فيبتهج قلبي،
وينبت لي جناحان،
وتتدفَّق أيدٍ كثيرةٌ من ذراعي،
ويربضُ أسدٌ بين أقدامي.
أشربُ من كأسِها فتزداد حواسِّي.
أشربُ من كأسها فتتكاثر عيوني.
أشربُ من كأسها فيتناسل قلبي.

أشربُ من كأسها فأجعلُ السحابَ يمطر،
والآفاقَ تتوهَّج.
أشربُ من كأسِها فأحوِّلها إلى حبَّة رمانٍ،
أضعها في فمي وأنام.

تحشُّ البستان

تحشُّ البستان!
قبل ذلك حُشَّ قلبي؛ فهو لكَ؛
نبضُه ودورقُه وأزهارُه.
تحشُّ البستان!
قبل ذلك حُشَّ شفاهي؛ فهي لكَ؛
نورها وبلسمها وعسلها.
لا تخف!
تحشُّ البستان!
قبل ذلك حُشَّ يدي؛ فهي لك،
تحمل الشقائقَ والأنبذةَ والأمان،
ولا تلوِّح بالوداع.
ألَا ما أشدَّ حزني! ما أشدَّه!
لأنك ذهبتَ إلى البستان، بينما يتهدر زرعٌ
في جسدي ... تتهدر غاباتٌ، وتطلع فيَّ سفنٌ وسرايا،
وفيَّ ينهمر مطرٌ ...
وأنت تريد أن تحشَّ البستان ... ولا تحشَّني.

أناهيت العالم

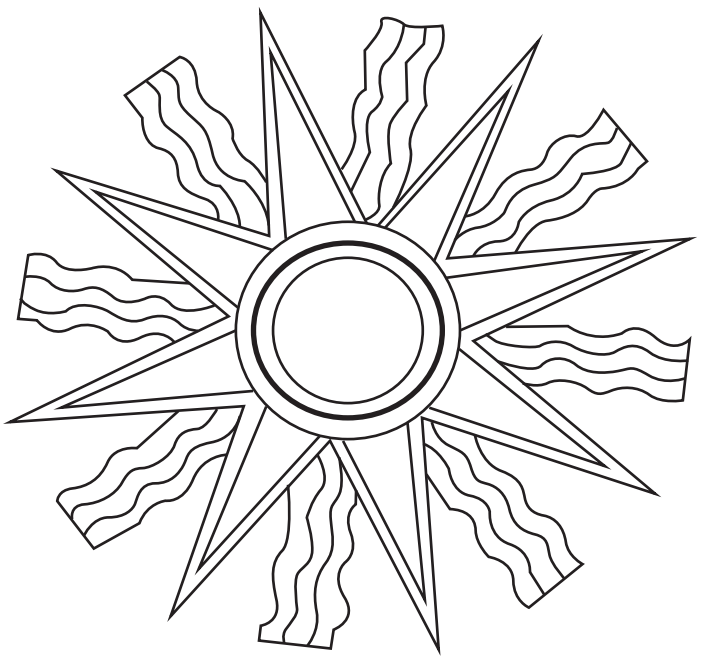

تخيط غيمةً ثم تخيط مخدةً،
وتضع أدد في طاسة، ونبو في طاسة، ثم تضع الماء على النار وتصنع شايًا.

سهرانة على الخلق تعجن الصلصال وتدعه حتى الفجر يتخمر، ثم في التنور، صباحًا، تخلق الناس، وعندما تنتهي من ذلك تقول: ما فعلته كان حسنًا. بعدها ترتاح وتغسل يديها وتنشِّط أرنبي ثديَيها بالصابون وتمشِّط أصابعها الألف.

في المساء يدخل زحل عليها وهي في خلسة تتجمل وتُترِّس الأعضاء فضةً والقواريرَ نجومًا، فيأخذها لنفسه وتأخذه لنفسها ويغدق على أناهيت الضوءَ والأساورَ والشمَّامات والخواتم فترضى، وينقر الدفوف؛ دفوفها.

وينفخ القمح؛ قمحها. يشعل كأسها وفتيلها.

نام العالم في كُلَّتِها وصار نطاقُها البقولَ وقوتُها أسدًا ينهض تحت حجلها. أناهيت تتجول في القصر، تلمس المرايا الطويلة، وخدم يحملون ذيل فستانها، خدم يمرون من تحت عيونها وينحنون. هذه أول إيماءة للربيع خذوا أعوادكم وكمنجاتكم إلى الحديقة.

في الحديقة:

أناهيت تحوك بلوزًا وترتِّب الستائرَ ثنيةً ثنيةً، وكلُّ قنديل لم يُوقَد بَعد، وكل نبات لم يستيقظ بعد … الشمس لم تكن قد رشَّت خردتها، ولم تكن يدٌ قد انخلقت لتضربها فتنسكب، ولم يكن نجمان قد التصقا ببعضهما. وأنتِ تدورين في مرآتي، وفي أنفي تنفخين الحياة ونحن في أول «أوزموا»:

تصنعين أولًا أصابعي وتقبلينها،

ثم تصنعين يدي ثم كتفي،

وتصنعين فمي بخيوط حارة وتقبلينه،

وتصنعين عيوني وأنفي،

وتأخذين حفنةً من الصلصال وتصنعين صدري وبطني، وبماء المطر تصنعين أقدامي وأفخاذي، بسكينك الذهب تفتحين صدري، وتكتبين اسمك في كمَّثْراه، وبسكينك الفضة تفتحين بطني وتكتبين ألقابك في التلافيف.

تصنعين خزائيل من لعابك وبلسانك، تشبعينه قُبلًا وأدعيةً.

هذه خرزتك بنيةً في عيوني … هذا حجابك فمي … وهذه رقاكِ فتحاتي.

أناهيت تتجول في القصر وأقدامها الحافية تلطخ السجادَ بالطين، خرجت لتوها من معجن الصلصال، الرماد يتطاير من الشرق والطيور تصفق فوق خرائطه، يشبك القماش بدبوس ويخطط بالأحمر:

هذه بُخارَى، وهذه سمرقند، وهذه كابل.
هنا نضع أثقالنا، الفرس ستصهل، وستسقط قلنسوة الرأس، حمراء، في الوحل.
وسيظهر العرش.
ظهيرتي ... مخٌّ يندلق في كوب فخار بجانبه كوب عرق، أغني وأنت منطرحة أمامي.
نصفك يغرق في عيوني ونصفك الآخر خارج الفراش مغلق وزكي.
أخلط عيونَك بعيوني، العرق يصير أبيض وأنتِ تُدخلين يدي فأعرِّيك من الهواء وآكل.
مثل مهندس المندل أنقِّط مطري على ظهرك، ومثل عرَّاف الودع أفصل خرزك الأبيض
عن الأصفر عن الأحمر عن الأسود ... وأحدد اتجاهات خيولي وأنطلق. لا شيء في
هذه الظهيرة سوى ندى اللذة يحفر عظامي.
راياتي تأكلها نار يديك، أقلب جسدَكِ الشمعي هذا وأسحب خيوطَ الضوء منه.
حيوانات هاربة من الزلزال والظهيرة مثل وَغْف يحلق، خلل يتكرر، والكاهن له لُغْد
أبيض وطاسته تفور ... يحملها ويدخل القبو ... أحمل أنا قدحًا مِن البيرة يتوغف
ونلتقي أنا وهو على الدرج ... هو داخل إلى القبو يرتل:
«قامت مريم بنت داود إلى العود (وأنا أغني) وجهك مشرق»، يدخل هو وأخرج أنا
لأنهض بملكوتي.
لماذا تنطبع أقدام الزمن على ألسنتنا؟
لماذا اللغة مصباحنا نضربه فيتوهج؟
لماذا تتكاثر خلايا السرطان إلى الأبد؟
لماذا فيه الخلود وهو قاتل وخبيث؟
أناهيت تعيد ترتيب الستائر ثنيةً ثنيةً. تضرب السجادة، المعلقة على الحائط، بالعصا
وأردافها تهتز، الحجر الرمادي يلف قامة تمثال فخم وتحته تجلس أناهيت
تضحك والماء يبلل ثوبها، عودة الراعي مع غنمه عصرًا يهش عليها، الرذاذ يتطاير
وهي تدخن، «اسمع ... سآخذك إلى القصر.»
اسمكِ موجود في كابل ... سُمِّيَت قابل لأنها من اسمك أُخِذت فقد أقبلت على الوجود
وهي رافلة بالزمرد، وكان في ذلك اليوم أني أقبلت إلى أوزموا. وأنتِ حينئذٍ، ابتهَج
قلبك أكثر من الآن وقلن لي نساء النسل اللائي حولك:
لأنك نسيت نساءك في الماضي
فسآخذك إلى امرأة تموت عليك

وتتشهَّك وستقول عنها هذه هي التي ستكون لي،
وتقول هي كذلك مثل هذا القول.
لماذا؟
لماذا لا تحمل الصواني إلا زهورًا ذابلةً وشموعًا في طريقها إلى الانطفاء، جثث تظهر مفاصلها على الساحل بعد الجزر. بقايا التكوين.
لو تنطق هذه الكتب المكظومة، ماذا سيفيض بعد الضوء؟ القلم أم اللوح؟ قوة الثدي لا قيمره فقط. الثدي الذي يترس يدي يتنفس. بدت أحلامنا مثل أرض مهجورة تسعل فيها بنات الشمس. ورأت حيوانات البرية أن بإمكانها اختراقنا ففعلت. ها نحن نمتلك أمعاءً
(ذكرى الأفاعي التي اخترقتنا)، وأكبادًا
(ذكرى السلاحف التي زحفت علينا)، وقلوبًا (ذكرى الدجاج الذي عرَّش في أعماقنا).
أناهيت في بلاط (شجاع المُلك) يضعها على سرج حصانِهِ ويمضي يفتح المدن. ماذا تقول الكتب المكظومة؟ ماذا يقول فمٌ ينفتح على خلقٍ وينغلق على هلاك.
جهاز تناسلها يشبه الزهرةَ في شكلِه، يدُها تشبه الزهرة، آتون يشبه الزهرةَ أيضًا. مدوناتُنا ما زالت على ظهور الجمال، وآخر المتاهةِ يسري في العروقِ ... مدوناتنا تتفطرُ.
وقعت زجاجةُ الكحولِ على أرض البلاط وابتلَّ قماش العرش، كان آتون يتقدَّم بيدٍ كالزهرة تحمل شخَّاطةً، كان آتون يحرس العرشَ وألواح القدر تحت أنفه، يلوِّح بحرقه ... يحرقه. كان الكحول يتحوَّل إلى أخضر فوق السجاد، والثعابين المحنطة على الحائط تتحرَّك.
الظهيرة ... وآتون يقف على القنديل يرفرف بجناحَيه الصغيرَين على طفلته أناهيت، يرفرف على حِجْلِها وهي نائمةٌ في حديقةِ القصر ... شرشف مزاحٌ عن صدرها، وصدرها مثل زهرة لوتس تتدلَّى، ثوبها أزاحَه هواء الليل فلمع ماس حجلِها يجر ذبائحه، والحديقةُ كلُّها تبحلق بهذه الفريسة المبهجة ... الأشجار والورد والسواقي والرفش والأباريق. الظهيرة تكشف لبًّا وتتوعَّد.
الظهيرة تجبرني أن أكرعَ الخمرَ وأغوصَ في وحلها ... حجلها يلسع دمي ورائحة التبغِ تملأ ممراتِ القصر، الرحم يمتدُّ على لفائفِ المِعَى، وحدهما قرنَا الرحم ملتفَّان مثل قرون الغنم، الغرين يتدفَّق من اليد وتخيط المنحنياتُ الدفوفَ.

كيف ينفتح الدهرُ على أربعة (يدان ولسانان أعلى وأسفل) لا شك أنها تفلِّي مفرق الشمس ومفرقها، وتفلِّي فمي بالأربعة، هذه قلادةٌ من العاج. هل تعجبكِ؟ أسبلَت عيونها، هشَّت على طيرها الوحيد الواقفِ على النافذة، فطارَ ودخلَ جسدي فَتَاهَ في مفاصلي ووضع بيوضه. الظهيرة كثيرةٌ تغطِّي ظهرَكِ وتغطي أنفاسي وتغطي الكأسَ. أنتِ تضربينَ بخرزكِ الأمواجَ وتتسعين، لهبُنا يتناسل وأرفع يدي باتجاه النواميس، والغيمةُ تتفرَّج علينا من النافذة، ثُم تتسلَّح بنا وتروح، وأنا بخارُكِ أخرج من مراياكِ ومن حقيبتكِ وألمُّ معكِ تحت أنقاض القصر خردةَ الذهبِ والطواويس ... ألمُّ معكِ شظايا العرش، الزجاج يسعل ... تتقدمه دفوفٌ وأيدٍ ملطخة ... منديل يمسح الفضاء ويختفي، القربان إذن! هذا جسدٌ وموسيقى. خمرٌ يتكرَّر ... خمرٌ يفور في القلب وفي الكأسِ، الكأسُ يشبه القلب.

مقصُّ الخياط يلاحق خطواتي ... كأسٌ آخر وأصل إلى الثمرة، أما أنتِ فتنظرين في عنق «ماري أنطوانيت» وتتنهَّدين ... يا للعنق الجميل ... كانت المقصلة لا تحلم بمثلها، التاريخ يضحك،

الدرنة تتفطَّر وقلادةُ البيت تتفطر وظهيرتي مُخُّ بيضة، كلَّما مشينا تقدَّمنا في معمار أقدامنا ولم نقطع مسافةً، من سجنٍ واحد إلى عدةِ سجون ... سجن الطعام وسجن النوم وسجن اللغة، من الإله إلى صبيانه، من الحقيقة إلى ترابها المنتشر في المكتب، تفتش في قاصتها عن صُرَّة الخواتم ... تفتش عن أوراقٍ وصور، القردةُ يخيطون مباهجَ العقل، نفتح دولابًا جديدًا، ونعثر على كتبٍ جديدة.

غبطتُنا تنسجها الصدف.

حلمت أن أسناني سقطت في الكأس، معبِّر الحلم يقول: أبناء سلالته يموتون ويُطردون ... لماذا إذن هذه الصرَّة من الأحاجي والملابس؟ سألمُّ معكِ شظايا العرش وأنا الطير ألعب في نيرانِك، أنا الحصان السريع القلَّاب الذيل، خافي عليَّ خافي ... أنا قطب جسدِكِ ونور مقلاتِكِ وطبولكِ، أمسكِ فتطيرين، أمسكِ وريشٌ في يدي يتبقَّى، لبنُكِ حلو لبنك فضة عظامي، تُعطيني يدَكِ فآكلها، تعطيني غبارَكِ فأتنفسُهُ.

قبل أن تظهرَ الشمسُ ظَهَر صقرٌ يجرُّها برجلَيه إلى الفضاء، قبل أن تظهر الشمسُ ظهرَت أناهيت تنفخ الغيومَ وتنظِّف السماءَ بالوصلة، أما النجومُ فولدت بين كفلَين وملأ غبارُها

عظامَ الناس والحيوان، الشمسُ التي ستأكلها قطةٌ عند الغروب، ناموسُها الطريد يعيد لي الكتابةَ ... قوتها أشهى من الموت، صقرُها يدلُّ المركبات ... صقرُها يرفرف فتنفتح النوافذ وأنتِ تكبرين، وفي كل الجهات تتعدَّدين، وأنا أنسلُ الأرضَ تحت ذيلكِ وأضع في شقوقها البذور، ثم أشير للصقر أن يقفَ على يدي، يدي «خيبرى» ... يدكِ الفضاء فلماذا العرش بعيد عن «كمياب»؟

لماذا الورد حزين وأعمَى؟

ثديُكِ من شمعٍ تشعل فتيلته يدي، وأنا أنقِّط ظهرَكِ بالماس وأهوس، أغني وأنصت لمعيزاتك أنا العاصفة أحزِّم غدرانكِ وأحزِّم بغالكِ وأحرس خيامكِ، فليقوِّ الله أحشائي ... ليقوِّ مجالدتي ... ليقوِّ الله يدي ويقوِّ أعضائي الظاهرةَ والباطنةَ.

الخسُّ شعرُكِ الذي تجعَّد وزرعتِه قربَ فراشي الخسُّ شعرُكِ المبللُ بالماء كوم قربه أسماكًا تلبط الخس شعرك الملفوف كالحلازين، وأنتِ إلهتي التي تُقدِّم لي قرب معبدها الحَبَّ وتقدِّم لي الخمر، لأجلك أصلي لأجل الحرملك الذي تشعين فيه مثل صف بلور، لأجلكِ إقباتون الشجرة تصعد وتفتح غصون شعرها، لأجلك الزرع يهفهف، لأجلكِ الصقر يتقدم في الهواء ويشق ثُخنَ الزجاج، لأجل حُقِّ القيمر في صدرك، لأجل حقل العسل تحت بطنك. لأجلك إقباتون معبدي. لأني تلفظت باسمك امتلأت الغرفةُ بالكريستال، لأني تلفظت باسمك أعطاني الليل قلادته ومضى ... صلِّبني يا إلهي مثل سلاح يرفع المدينة من حيف، صلِّبني فهي في عزِّ مجالدتها مع ضباب طلعي الكثيف تمنحني ظهرها وبطنها ولبنها وفلفلها، وأجمع الذهب من ترابها، اجعلني أشمُّ من فروها النجوم؛ فهي التي لاطَفَتني ولافَحَتني، خُذ بيدِها نحوي وأنتِ أيتها الأرواح العظام أجيبي، يا قَرنَي القمر! ويا أنثى الكاليوس، يا أردفي سورا أناهيت بحق الاسم الذي تنقَّعَ في مائي وخضَّ الحجر في شكوتي ... أجِب يا نهار القسوة ... أجيبي يا ظهيرة اليواقيت تتمطرحُ في شذر الثدي ... يا سحاب الشهوة يتغنج في فمها وهي تتكلم، ويا أيها الموج الطالع من بذخ أفخاذها وهى تستدير، ليِّن لي الخشن من أعضائي واخفق على قامتي نرجسًا وذهبًا ... اقلب جسدًا ينقلب حقولًا ودعني أختلي بورقي فهي فيه، اسمها يقلب الكواغدَ ذهبًا، وكذا سُرَّة أناهيت يُغلَى فيها كحولي. سأرنِّم لكِ لأنكِ صنعتِ مفتخرًا ولأصابعك الشمسات.

جسدك كاللبوة يصيح:

افتح لي الباب!
افتح لي الباب وإلا كسرتُ القفلَ والمزلاج!
افتح وقبِّلني ... قبِّل عيوني ... قبِّل كبدي ...
ومُدَّ يديكَ في تنوري وخذ الخبز.
خذ الطير المشوي وكُل.
احملني إلى القنفة.
احملني إلى الفراش الذي على الأرض.
لا تحملني للسرير.
احملني إلى الكريستال ودعني أشمكَ.
دعني أشم ثعلبَك.
دعني أبوس حجرَك،
وألمس حديدكَ.
مسرَّتك دائمة وقويةٌ،
وهى تغرف من بئري.
كُفِّي أيتها الباذخة ... كُفِّي عن النواح سيدةَ الشرق، المليكة التي تمزَّق عرشها في بابل، كُفِّي أيتها الباذلة، كفِّي يا سحابة واسحبي رياحك ودلاءَك. اسحبي جرارك ... اسحبي خيولَكِ وتعصمي بعظمتِكِ فاسمكِ وحده كفيلٌ بسلطان، اسمك إمبراطورية نساءٍ وغلبة وغليان مجدٍ وعاطفةٌ تفور.
قلبي كتبَتهُ يدُك، وأحشائي مرسومةٌ في يدك، أنتِ منعطفي — السلالة والصورة — تجهلني عيوني وأنتِ لاتجهليني، تفرِّقني أقدامي وأنتِ
تماسكيني، تخاف مني أصابعي وأنت تقربيني ... أعدُّكِ فأجدك كثيرةً وأنتِ معصيةٌ أرتكبها كلَّ يومٍ وتصيحين بي:
أيها اللذيذ تقدم ولا ترتجف،
حين تضع خطواتكَ في مجالي، علامَ
تبتعد وتزداد زيغانًا؟ كل الرأس يدوخ،
وكل القلب.
دعني أشم خزائيل وأبكى، دعني أتلعثم
في رضابكَ أيها النهر، سأمنحكَ سمكة يدي

سأمنحكَ بركةَ فمي،
وسأمنحكَ الينابيع.
أودُّ لو أغتسل في حضنِكَ.
أودُّ لو أناديكَ ويشبع فمي
مِن ترديد اسمك، أودُّ شمعتكَ تذوب في
ماعوني وثوركَ يتقدم في حقلي المرتفع
المزين بالأشجار.
ولعلكَ الثورُ تطيرُ في أعضائي
أريدُه ذلك الطير ... أريد الثور يطير.
أريد الطيرَ الذي يدثِّر جسدي.
أريد الطير.
أريد الطيرَ الذي يُسعِد قلبي.
أريد الطير.
أريد الطير الذي يحوم في جسدي.
أريد الطير.
أريده يعشعش.
أريده يبيض، أريده يزقزق.
أريده يغفو، أريده يدمدم.
أريده يخفق، أريده ذلك الطير.
أريده يُفيق، أريده ينقر.
ذلك الطير
أريده.

أناهيت العصر

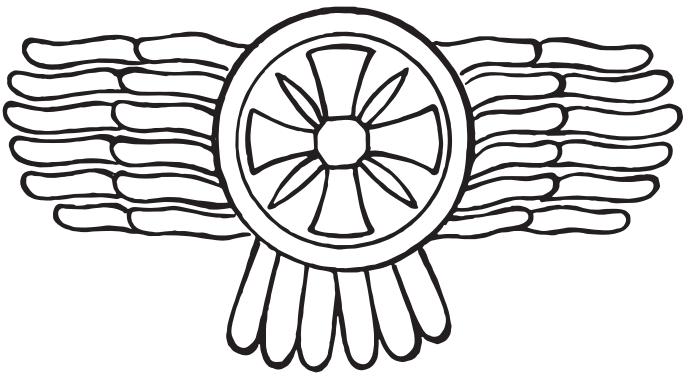

جعلت النهار في صدري

جعلتِ النهارَ في صدري.
فمي جعلتِه ينطق بالجمال.
يدي جعلتِها تنسكب بالزهور.
عيوني جعلتِها تسبح في النور.
أرضي جعلتها تحبل بالزرع.
وسمائي جعلتها ترتفع أعلى.
البيت، الذي أصبح مزارك، جعلته يضيء،

وجعلت الشمس، التي هي شمسك، تتنفس تحت بشرتي.
البذور جعلتها تخفق،
وجعلت الذهب يزداد في دمي،
من البرية طلعَت وشقَّت بعصاها بحري.
من الشرق طلعَت وشقَّت بصولجانها غربي.
الأخاديد امتلأت برائحتها،
وشذًى جعلتِه يفوح من الجدران.
عجل الشمس يبكي بين يدَيها،
والسجادة تبوس أقدامها،
وتنتفض النباتات حولها وتطق الصالة والمطبخ والممرات جعلتِها تكبر، واللوحات تكبر، النوافذ جعلتِها تنفتح، والكتب تقرأ.
فعساي أستطيع لَمَّ قطعكِ في بيتي،
وعساي أمسك عصاك،
وأحرس عرشك:
عرشكَ الذي في البرية،
وعرشك الذي في قلبي.

كي المقدس

من جديد أيها الفتى ... من جديد،
وكي أصنع لك المقدَّس،
وأمسَّك بوضوحي أيها الملتبس.
دعني أحرث جسدك ... من جديد، كي أمضي في دورتي، كما يمضي نهار إلى ليله.
دعني أحرث، من أجل المقدَّس، عرشك.
لقد ذهب صوتي في الغناء، ونال النجمُ عيوني من شدة التحديق فيك، والزمن اندفن في جسدي كي أصنع لك المقدَّس. أنا حقيقةً لك أغني ولكنَّ الغناءَ يذيبني وقد مال برجي وتفطَّر.
كي المقدَّس أصنعه لك.

هلا

هلا صاحبة الشفتين من نار.
هلا الفلفلة.
هلا الجمرات تكوي.
هلا الرايات تخفق.
هلا النايات تعلو.
هلا فمك بلون الكبد يلمع.
يا من أتيتِ من فسيفساء كسر الشمس تسربي إلى عظامي وليتسرب عطرك ...
عطر الثياب الموضوعة على الأريكة، عطركِ المفروك
بجسدك الذي له نكهة الذهب والحنطة.
أضيع في أصابعك ... أضيع في رائحة التبغ التي
ترشح من نارك، أضيع في بخورك القمري،
وكل ليلة تمنحني غرفتك شحنة النور والجنون،
أزخ فيك النور والندى وأنت كالأفعى تعضين يدي ... صدري ... كتفي، تعضين المخدة، تعضين طائر النور الذي يحوم حولنا.
كنتِ كوثري وكنتُ كأسك المُعلَّى.
كنت الغيوم تنبض في ماعوني.
كنت النجوم تضرب شمالي وتهيج بروقي.
أهش الريحان عن أصابعك ... أهش الضوء،
أهش الأبهة الطريدة،
وأرى خواتمك، ساعتك، تنورتك، حذاءك هناك كالأغصان الذابلة، أما جسدك فوسطها ينتعش ويتكاثر، وأرى النار التي تشعل الغرفة، والوغف الذي يشع على جلدي، واللوحات تفوح تفاحًا وخمرًا.
فمك كان أم شهقة الينابيع؟
فمك أم عروقك؟
فمك أم الكئوس تفور؟

عسى

كم أنت محتاج إليَّ!
كم أنت مربوط بسرتي!
لا أرى غير كهفك ونارك فيه،
وأحجار صيد طرائدك.
عسى أن أربط تاجي لكفك إلى الأبد.
عسى أن أشق بمحراثي طريقك إلى الأبد.
عساني أذبح لك القرابين، عسى رأسي تباركه لمسة غيومك، ولعلك تعيد لي يدي الثالثة.
لعلك تعيد لي عيني الثالثة،
وعسى تعيد لي قلبي الأيمن.
يا صانع طولي وصانع ضريحي.

تخطِّين حاجبك

تخطِّين حاجبك المقوَّس،
وتتسلحين به ...
تمسحين المرايا بضوء وجهك وتمرِّين.
إطلالتك إطلالةُ نبيةٍ، وترنيمتك نهر،
أيتها المخضَّبة ... تسترين حُرقتكِ بفيض شعركِ وتتوجعُ في يدك المدن.
دعي نهرك يدخل جسدي،
وثدياك دعيهما يزبدان النهار.
دعي مراياك تلتقط صور كهنتك المنشدين.
دعي شقائقك تتفتح في جروحي.
دعي تَلَّتكِ المنتفخة تفصح عن عرشها.
دعي خاتم العصر يضيء أصابعي.

امرأة تتحول إلى ماس

في وسعك دائمًا أن تتحولي
من امرأة إلى غزالة، إلى نجمة.

في وسعك دائمًا أن تبعدي الرياح عن المدن.
في وسعك أن تتقيدي بالبروق وأن تقيدي بها الأرض، في وسع البروق أن تحولك من امرأة إلى ماس.
يدُكِ من ماس حملت شمعدانًا،
وأضاءت أغواري.
فمك من ماس أسمعني نشيدًا رجَّ المساء بالمطر. شهواتك من ماسٍ رنَّقت زهور شهواتي وضخَّت الأفق في عيني،
وأشعلت الغابة في صدري.
امرأة ماس تنفرط مثل سنبلة في يدي
مثل بذور تتدفق في مجرشة،
مثل ندًى يدخل الشقوق.
امرأة ماس جعلتني أشع.
جعلت عظامي تتنفس.
جعلت يديَّ تخوضان في الضوء.

أنا الروح تأمرك

كما يهتف الحجر بأخيه الحجر،
كما تتعرف البروق على بعضها وهي تصعقُ الليل، كما أمزج بينكِ وبين رغباتي،
أنا الروح تأمركِ: اظهري
وانشري أياديك على الخليقة.
احفري بإبرتك أدمة الأرض.
احفري بأصابعك الزبدَ.
أمزجُ بينك وبين طيوري.
أصعد عاليًا بأسلحتي.
أمزج بينك وبين خمرتي.
أنزل عاريًا بأساطيلي.
احفري بي كلماتك وأعشابك. احفري بي، وفُلِّي في جسدي الليل، وضعي البذور.
أعصر يديك من فرط بردهما، وأدفع

بيدي تحت سُرَّتكِ، وغلالة الضوء تحيط رأسي. عن ماذا يتكلم هذا الصباح؟ عن فراشات الساعة الثامنة؟ أم عن أعنَّة الخيول في العيون؟

تصعد إلى برجي وأستقبلها برشقاتِ

الطلع والمجون. تائهٌ أبدًا في أطلسِكِ

وفي صحارى ظهرِك القاهرة.

احفري بي لكي، تحت الكمانات الدافئة، أطشَّ الذهب، احفري مئذنتي، احفري قبابي، احفري بخار أيامي.

كان شعرها يشبه الماء، وكانت نارُها في الثديَين، وكان خِضابها على السجادة وفي الممر وعلى الشراشف.

احفري بي لكي تطلعَ شجرةُ لير هنا ومناجمُ هواءٍ فاتر هناك.

احفري لكي يتدفق الضوء في عروقي،

ولكي أتدفق أنا في النبات،

ولكي النبات يتدفق في الأرض.

أنا الروح تأمرك.

أناهيت الغروب

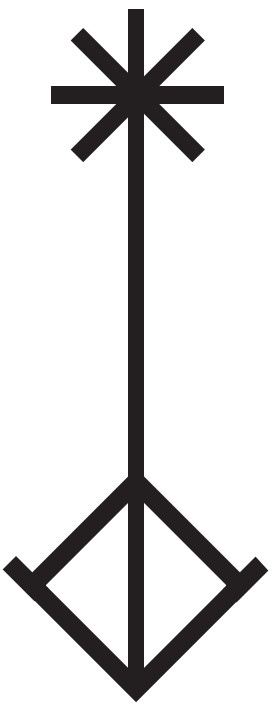

تحت بخار الليل

أناهيت تقول لي:
حبلتُ بهذا العالم قبل أن أراك ثم أنجبته،

وكان مثل بيضة تشقَّقَ قشرها،
وخرجَت الأحياءُ منها.
لماذا أراك مستوحشًا وأنا سيدتك، خلقتُ العالم ثم أحببتك،
واسترحت؟
أقول: نعم ... رأيتك وحدك، وكان كل ما حولك ضبابًا وأنا أترنم بنشيدي لك وألضم فمك، وأنا في مجونِ رائحتِكِ أفك شفرة خلقي.
يدك تتهدج في الأفق وتلف الأفاعي، وتلفين دجلةَ على فخذِكِ اليمنى ... والفراتَ على فخذك اليسرى، تلفين ترانيم الزاهدين، وتلامسين بأصابعك أهلة القباب.
لماذا تتفكك رائحتك إلى فراشاتٍ في سريري؟
لماذا يخلقُ فمُك، تحت بخار الليل، الأسماءَ؟
لماذا تضيء يدك وهي تسبِّح؟
تحت بخار الليل أحفر تماثيلك وأشم النور الذي يتجمد تحت أظافرك، آكل هدومَكِ، وأنادي اللَّقالِق لتأكل معي.

تلمين ثيابك

تلمين ثيابك والشمس تلم أشعتها.
تأخذين القميص من على الكرسي،
وتأخذين الجوارب من على الأرض،
وتأخذين الأساور من على المائدة.
تأخذ الشمسُ كفوفها من على الحقول،
وتأخذ أسنانها من على الصخور وتلم شعرها المنقع في الأنهار، تعصر الشمس يديها وتمسحهما من دم الطبيعة الحار.
تعصرين جسدك وتبكين على جسدي،
تلمين أزهارك وقلائدك ويديك،
وتتهيئين للرحيل.
تضعين الكحل والأحمر والأقراط.
تضع الشمس الغيوم وتغسل النجوم وتهيِّئُها.
تلمين كلامك من على جسدي،

وتلمين النهار،
وتضعينه في حقيبتك.

مثل مانحة رحمة

أنزِلوا الأجراس عن الأبراج،
وأَنزِلوا الطيور عن القباب.
علَّق المصلون تراتيلهم بكِسَر الفضاءِ الساقطةِ في حضونهم، فظهرت تلوح في الشبابيك مثل
مانحةِ رحمةٍ وطارت على الأسوار مثل مانحةِ
فألٍ سعدٍ.
قلبكِ أيقونة فوق صدري.
يدك زهرة في يدي.
قامتك في عيوني،
ورایاتك في أحلامي تخفق.
ثديك يحمل سحابًا على أرنبته وسفوحه.
جسدي كله عضو من أعضائك.
فإن تصوغي لي فمي فاحذري نسيان كلامه،
وإن تصنعي عيوني فاحذري نسيان ضوئك.
أزحف ... على أنك ستصوغين لي أرجلي.
جسدي كله عضو من أعضائك.
فإن تمطيت انشغلت مائة عام باصطياد السمك، وإن فتحت فمك انشغلت مائة عام ببيانك، وإن تنفست انشغلت مائة عام بتقريض السماء.
وإن تعرقت انشغلت بالبركة.
جسدي كله عضو من أعضائك، وأنتِ
مشغولة بخلق الفراشات من شَعري،
وأعضاؤك كلها تنوح عليَّ وتتوسلك.

رتَّب المنجمون

رتَّبَ المنجمون مَشهدَ فراقِكِ.
نجمٌ يحوم على مسجد،
وعشر خرائط تحت أعوادهم.
بخور دموعك ... وبخور عناقي.
قال المنجمون: أنت تموت عليها وتفنى بها.
ولي، أنا العاشق، قام النور وزنَّركِ وأبقاكِ
لي وتبدد في أنسجتك، ولا أعرف كيف ألتقطه وألتقطك وأضعكما في القوارير.
ولي، أنا المجروح، غلَّف مواجعي ندًى منك،
وغمغم في شهوتي طلعٌ.
قسوتك لذيذة، وعطفك حقل، وأنت سنبلة.
أرتب صف أنبذة وشموع.
أيتها الغيمة الحارة التي أراها عندما أدحرج الأرض ليلًا، وعندما أهش الطيور.
رتب المنجمون بوصلةً في الطريق.
مرورك يسلب الظلام، وعندما تطلعت في الناس وجدتني ألهج بذكر اسمك وأقول: «فضة»، وأقول: «شمسة»، وأقول: «شجرة الكهانة»، أقول: «دالية الكروم».
أرتب نبض جهاتي وأدير زوايا المصير نحوكِ.
ولي، أنا العاشق، تقدِّمين الكأسَ أحمرَ، والجسدَ أبيض، والنهارَ وغفًا يتطاير، أنتِ، يا مَن أنتِ فراشٌ وثيرٌ ونقر دفوف في الدم.

الآفاقُ انسكبت

سماءٌ مجرَّحةٌ بدعاء يديَّ المرتفعتَين.
أعيديها إليَّ.
سماء على مركبٍ ينتظر،
كلها تتأوه وتنوح
أعيديها إليَّ.
الآفاق انسكبَت في خطواتكِ،

ويدك التقطت آخرَ السماء.
جسدُكِ سَحَب الخُضرة وغيَّبها فيه.
كان قيامكِ شطيرتَين: السماء والأرض.
شرنقتِ الهواءَ حولكِ، وزنَّرتِ الضوء.
إذا دخلت في معمدانِكِ ... سأنبثق.
إذا رشقت المدى الذي يرسله حضورُكِ،
سأغمركِ وأحصد السعادات.

رصيعة مفرق الشمس

ترصِّع مفرقَ الشمس قبل أن تذهب وتغنِّي:
سلَّ الزمان سيفه وما طعن.
ويلاه ... ما زالت هنا وهي تغيب.
سلَّ الزمان وَرْده وما أفاح،
ما زال برقٌ في يدي مكشرًا وفي فؤادي.
سلَّ عليَّ شوكه وريحه وجيشه ولم يُصِب.
ما زال قيدي في فمي ولم أُجب.
رصيعة في مفرق الشمس تنوح:
دسَّ الزمان خرزةً في جسدي
خرزته الحلمة في ثديَيَّ.
خرزته عيوني.
خرزته الأسنانُ في ثغري.
ترصِّع مفرقَها وتتعطَّر وترى الوقت يزبد في السواقي.
تغسل فمَها وأصابعها.
وتشم رائحتي قبل الرحيل ... وتتقلَّب.
رصيعة مفرقِ الشمس
تتركها في يدي.

التي خرجت

التي خرجَت من خِدري كان وجهُها يجذب النور، التي نفخت في فمي الكلمةَ كان فمُها يرتِّل الأقاصي.
أمسكَتني مثل سمكة ونشفتني من الماء.
نظفت غابتي وأخرجت الذئاب من صدري.
تركت الضوء معي وذهبت بدونه.
أصبحتُ أمرُّ دون إثارةِ نبتةٍ أو حشرةٍ.
أناهيت التي كشفَت نورَ العالم لي،
ونور جسدها.
وأرتني ما تحت الهاوية.
أناهيت التي صنعت الهضبة.
أناهيت التي أرتني ما تحت الأدمة،
التي حدَّقت في الأسرار وجعلتني أحدِّق.
أناهيتُ التي حلَّت حبالَ مراكبها،
وغطسَت في حافاتِ الليل.

أناهيت الليل

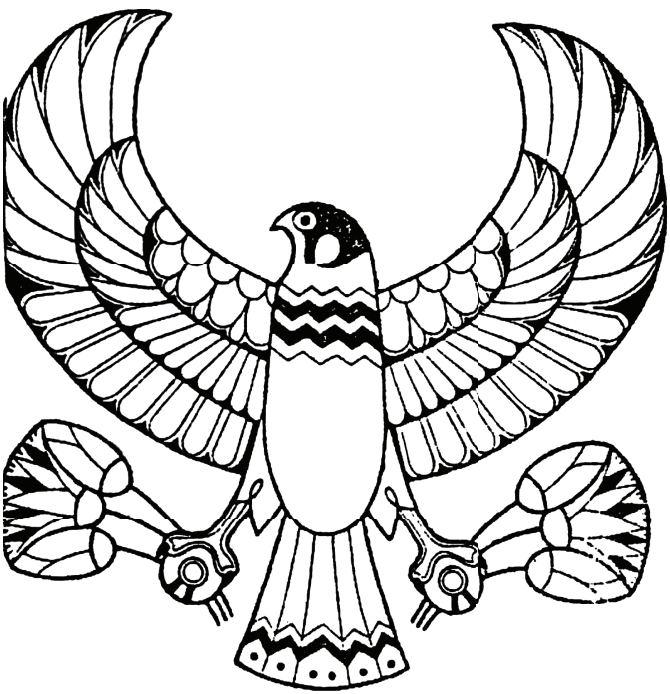

تدير ظهرها للشرق،
وتنهمك في رفع شراع مركبها.

مرت اللقالق مودعةً وحزينة، مرَّ حشد من لاطمات الصدور، مرَّ تابوت إنانا، يدها في الكفن تحمل سنبلةً وعلى صدرها ينعقف الصليب. أغانيه جاءت من حواشي المدن ... وأغانيها سقطت في الآبار.

يُخرِجون الدلو من الأعماق، ويرون شهقة الخواتم الذابلة، كل هذا من أجل أن تكون الأيام على مهلها. أيْ أناهيت ارجعي إلينا ... أجسادنا سيغادرها النور ... أثداؤنا ستذبل، صفائح النحاس لن تلمع، والجرار لن يتخمر فيها العنب.

شدت حزامها ووضعت الأبواق فيه،

والدروع على صدرها.

ما الذي تشتهيه ثغورك؟ مركبها عند جبل

«مانو» وأنا وحشودي نودع المركب المزين بالقرمز والذهب ... سيدته ترمي مراياها وقلاداتها على حافة الجبل، تنطرح الشمس على مركبها ميتةً وقربها ريحان ذابل، أمسك بيدي حبال قاربها، ثم أسحبه مع ملائكة الغروب على الماء الحزين.

لم يكن دجلة بهذا الصمت، لم تكن حورياته بهذا النحيب الهادئ الطويل ... كان كل شيء ملطخًا بلمسات الغياب.

تضبط أناهيت ناعور المياه المهول بسلالِهِ الاثنتي عشرة، وتضعه في «دجلة كسيا» بينما يهرب «دجلة بغرا» إلى السطح.

كلنا نلهج بذكر أسمائك السرية يا أناهيت إلا اسمك السادس الحق الذي يتدلى في أغوار الدوات.

ندفع مركبها وتُدوِّر هي دولاب المياه وناعوره وتلوِّح مودعةً. يأخذها مركب على أسيل الشوارع من مكاني إلى العامرية، وتعود يدي تلوِّح لها بالوداع ...

الساعة الأولى

وضعت قرصَ الشمس في يدٍ، والجِعْرَان في يد.

نفخت على شراع المركب وعدلت ساريته، ما الذي دفع كل هذه الأفاعي إلى سطح المياه؟!

افردي لي أيتها الأفاعي سراجًا أعبر به بسلام، صفِّقي بالأيادي يا جبال، افردي لي معبرًا في التلافيف المعتمة، طرقٌ تشبه الأمعاء ماذا تحمل الأباريق والأكواب التي في خُرجها حبر ذاك الغروب، ومصوله مُجفَّفة في زجاجة تقع على سطح المياه فتتلاطم الأمواج وتشتبك؟

مرت بثوري وذبحته ورشقت بدمه الحقول الملآنة قهرًا. كان جناحها مبللًا وكانت أقراطها تحمل التخاريف منقوشةً، أما أغشيتها الأخرى فقد انتزعت وأصبحت شبه عارية، تدثرت بالفراش وعدَّت النجوم:

هذه النجوم أرواح موتى تكفنت في الأعالي.

مركب من الفضة يمشي على بطن امرأة منحنية على الأرض.

ظهرت كلبوة مجنحة في مقدمة المركب.

رنمي يا سماءُ الأرضَ بالمطر، واهتفي يا بروق في يدي، وأنت أيتها الشياه الهاربة في الظلام ادخلي مغاوري.

لم تكن في بيته علامات تزف المراكب نحو خلاصها، بَيدَ أنها أمسكت بأشباح يديه تمران على جسدها وتودعها.

رماد الخليقة في كوبها الدافئ ... وسلالة أجدادها يظهرون حاملين الأعلام البتولية وجداول أنسابهم العريقة. يده تسرح شعرها.

الساعة الثانية

لسانك ينبت مديحًا لي ولساني ينبت صلاةً.

ريحك تقرب خلاص مركبي.

أحجار بهيئة الطيور والتماسيح في يدي.

تطش الخرز على خريطة الدوات ... ما الذي على نهر كسيا، وما الذي خلف تلك الصخور، هذه أقاليم روحي وتلك طيور روحه ترفرف، عن ماذا يبحث الآن في كأس خمرته الباردة.

ودع محبيه عند مفارق المدن وظل يجوب القِفار، يغني خلف غابٍ من الشجر المر ولا يفوخ.

لسانُكَ يُنبت لي حزنًا.

كئوسٌ على المائدة في أول الليل دونَ خمر، طيور الليل تبدأ الغناءَ وأنا أرسم على الحائط ثورًا مطعونًا بالرماح، ما الذي جرى في الأخاديد؟ ... ماذا هناك على رفٍّ أوهامنا غير هذه الأشرطة الرديئة الصنع؟

طيورُ المنارات تنزل في باحة المسجد وتلقط الحَب. أناهيت تمسك صحنًا من الرزِّ وتفرش عباءَتَها قرب الميضأة.

مرَّ مصلون كثيرون بقلانسهم وسيوفهم ... ومرت نذور مهيأة للذبح، كانت الطيور تلقط رزًّا من يدَيها.
كانت تعبر المياه بغطاء ظهرها الصلد وأرجلها المدورة، سلحفاة بين ماءٍ وتراب، كانت لبوةً مجنَّحةً ذات مرة، فعلُ الأقانيمِ يتعدد والسماء تمطر.
دخلت في صندوقها وعدَّت سنين حياتها بهدوء، إله العكاز يفتح لها الطريقَ
مركبها خائف بين حائطَين مسننَين بالحراب.
أرواح القمح عزفت.
عجَّت الكروم بروائح خمرٍ ورقص ولذَّات
داخت أناهيت وسقطت في منتصف الطريق. لماذا ذكَّروها به؟
مركبها يتوسَّط رأس كبش، وهي تشعر تحت الغطاء ببردٍ فتقومُ وتغلقُ النافذة، تشعر بلمسة يدَيه على ظهرِها.

الساعة الثالثة

أخذ صينية الشموع المحلَّاة بآسٍ وذهب إلى ضفَّة دجلة قرب مقام الخضر، وضعَ الصينيةَ فوق أسيل المياه ورفع يدَيه:
يا أله ... أرجعها إليَّ وسأحميها برموشي.
يا أله ... ورد ونور في طريقها.
يا أله ... نحتمي بك بعد أن تمر العجلات.
يا أله ... أسقط الغربان في طريقها.
يا أله ... ادحر الأفاعي في طريقها .... يا أله.
كانت الشموع ليلًا تضيء النهر، وكانت هي تلبط في المياه وتراود الشموع ... لم ينتبه لحركاتها.
لكِ التجلَّة لأنكِ تثيرين النجومَ في صدري، والنورَ في دمي. أخذ كمنجاته ورماها في المياه، ونزل بدلوِ ناعورها إلى العالم الأسفل ليبحث عنها، وعن كمنجاته بين قامات الأرواح. للتماثيل رائحةُ يدَيها.
هذه بحيراتُ النارِ محروسة بالأفاعي، ومركبها تسحبه الحوريات، تخترق بزعانفها وحوش المياه وترشُّ على تلالهم تعاويذها ...

جلس على عرش مياهه، حوله أبناؤه الأربعة، كان يزن أرواح الناس، مركب أناهيت يقترب منه لكنه لا يُمسِك به.
رهطُ محبِّيه تحت ظلِّ كرسيِّه يخيطون قلوبهم بأجسادهم، شبكات من الخيوط تربط أقدام الكائنات ببعضها على الطريق ... هكذا رنَّمت ساريات بعيدة، وهكذا سقط غراب على حافة المياه ... وفي كل دور فدور اسمكِ على لساني، وأطوف بشموعك الضفافَ، ناووسي منقوش باسمكِ.
أنتِ فحصتني كفحص الذهب، أنا محَّصتك من بين الملائكة، وجرتي تتدفق لأجلك بفرعَين (دجلة اليمين والفرات اليسار).
فينزل الماء على ثوبي ليمسَّ حاشيتَه ويصلَ إلى أقدامي ...
يصل الماءُ إليها فتنقلبُ في سريرِها من اليمين إلى الشمال، وتشعر بأن يدَه هي التي قلبتها.

الساعة الرابعة

القمر بقاياك.
القمر يجري في عروقي.
القمر يلمع في عيوني والقمر يتكلم في لساني.
إوزةٌ تتبع القمر على المياه ... تنقره ... تضعه بين جناحَيها ... تركب عليه ... لا فائدة، يخرج القمر دائمًا مرقرقًا بالمياه.
القمر يخترع الكتابة، (تحوت) يجلي بريشته جدران المعابد وينظفها (تحوت يذوب في نبو وفي سينا).
الإوزُّ يقأقئ حولي، وأنا زهرة سوسن تحرس أنفك، وأنا طير ينقر فمك، والإوزُّ يقأقئ حولي. وأنا احتفال البحيرة بك، احتفال الآسِ واحتفالُ الشموع، أنا الصنوج تهتف والغابات تفيق والمدائح تتراشق.
غسلوا بالأقمشة ساريات السفن ولَّعوا زجاج النوافذ بالورق، كانت أناهيت تطرِّز وشاحها بخيوط الذهب، وكان حزامُها مفتوحًا وسروالها متراخيًا.
شهقة الشهوة تخرج من قيعانِ نومِها، تنقلب،
وتحضن المخدةَ وتعصرها فيما تهطل أثداؤها
بطلعٍ على المغاور فتُفيق الكائنات اللامعة فيها

اخترعت الحروف الكنعانية ورسمتها على
ناووس أحيرام وكتبت بها المرنمات العجيبة
لـ «أدد» ... حجر يحنُّ إلى أصله، وأصلُه في
يدَيكِ وفي المعابد القديمة المحطمة.
أحضِّر لساني لملاقاتكِ من جديد، وأقلِّل كلامي لكي أغرفَ من فمكِ ... يا مَن مرآكِ حلو، يا مَن إطلالتكِ سردُ ماس، وعيونُكِ تاريخ قوة، وانكشاف سلطانك بحر.
القمر يشدُّ مِدرسَ البذور إلى يدي، مدرسُ البذور يشدُّ يدي إلى العرش، عرشُكِ الذي ضاع في كابل وعرشي الذي حجبه الرعاة عني في بابل. أنتِ في صحراء واسعة تعجُّ بالثعابين المجنَّحة. دجلة تائهٌ بين الصخور ومجراه عميقٌ وشديد الانحدار وأنا أحرس مركبَكِ المترنح.
يا مَن يزِنُ جسمي بقبَّانه فيرضى،
ويقيسُ طولي فينشرح.
ويدورق صدري فيهيم.
يا مَن يأكل مِن كلامي ويسعى لعقلي.
الماء ينفتح موجةً موجةً ودمي يبتهج ... دمي يزغردُ وعقربُ الشمس يلسع لساني فأغني، أغني لكي أتكاثرَ وأكفيكِ.
أشدُّ يدي إلى الصولجان المعطل فتنبت لي أجنحة وتجعلني أحوم وتخرج لي أيدٍ كثيرة تجعلني أزحف وتطلع لي حراشف تجعلني أسبح، ثم أنقلبُ إلى إوزةٍ لأتحدَ بك ولكني لا أجدك.
فعسى قرابين الطعام تجمع شتات يدي،
وعساني أتحوَّل إلى صقرٍ أجوب حقولَكِ كلَّ يوم.
لقد أفزعتُ تمساحَ الظلام بعصاي،
فعساي أُشعلُ النهارَ بكلمتي.
كلمتي التي هي فؤادي، فؤادي الذي هو فؤادُ العالم.
تشهقُ أناهيت في فراشِها شهقةً أخرى، وتنقلبُ على ظهرها ... يدي على صدرها تعجنُ الصلصال.

الساعة الخامسة

الصقور تتساقط مخترقةً زجاج الأفق، وراكسةً في مياه الظلام، رذاذ المياه على أظافرها وعلى ساقها، تشيل صايتها فتنكشف حجولُها وتعبر ...
تتحوَّل، هي الأخرى، إلى رخمةٍ وتحوك زخرفةَ السماء.
هذه البرديات لي. هذه الأحجار لكِ، ما الذي تدفَّق في النهرَين سوى جثثِ الناس والغزاة ... هل كان لا بد مِن كل هذا؟!
جيوش الأناباز تصعد إلى أربيل، وتدورُ تحت القلاع معاركُ مهولة، مسرى الجيوش يشبه مسرى النمل، النمل إلى الحياة والجيوش إلى الموت.
تركوا عرباتهم ومتاعهم في حلبات الموت.
كان الإغريق يسعون إلى شهوات الخلود،
وكان العراقيون يبحثون عمَّا يديم حياتهم من الخبز والخضار ... انقلبت المعادلة.
أنا صقرُكِ الوحيد، فصائل البشر البيضاء والسمراء والحمراء والصفراء والسوداء واقفة أمامكِ تنتظر:
فكَّت حزام بنطلونها ورمت الأساور في دجلة وقالت:
أنتم دموع عيوني.
خلقتكم من دموعي.
فيوم فرحتُ ظهَرَ من دموعي البشر البِيضُ،
ويوم مرضتُ ظهر الصُّفرُ،

ويوم اشتهيت ظهر الحُمْر،
ويوم غضبت ظهر السود،
ويوم دخلت مناجمي ظهر السُّمر.
أعتِّق اليوم أرواحكم وأدخل مملكتي.
سقط الغطاء من أناهيت ولسع جبينها البقُّ ... هشَّت في الهواء، انحرفت ذرات الزئبق وتحوَّلت إلى قصدير ... ما هذا؟
ثعبانان ملتفَّان على عصًا.
أحفر في الجبَّانة لأُخرِجَ عظامي، أرى أبا الهول يحرسها وتحيط شاهدتي أفعًى حمراء.
ترمينَ حجرًا مِن بعيدٍ على البحيرة فيفور الماءُ فيها ... هنا يُدفَن الخطاةُ، وعلى حافاتها تجمعين الرموز وتصعدين السلالم.
مجِّدوا أسماءَها وافرشوا الأرضَ بالسجاد ... أعطوهم كعكًا لأرواحهم وهواءً لأنوفهم وأعشابًا لكراسيهم.
رمت نفسَها في البحيرة وبدأَتْ تتحوَّل ...
هشَّت أناهيت الصقورَ عن فراشِها ...
كانت يدي على سُرَّتِها وهي تشهق.

الساعة السادسة

عدتُ إلى الترافيم أغبط الصورة الخارجة من هيولى المياه، ما الذي تقوله ترافيمك لي؟
يد مرتفعة، هلال على الرأس، قوس على الأكتاف، شبق صاعد من عيون الترافيم والساريات. لعلي أدرك تمر جرارك لأخوض في لهب الجنون والخمر.
يمين السرير حمام ويساره حافظ ملابس.
جناحان يرفرفان فوق كتفَيها.
جناحان يظهران في المرآة فقط.
تنام على ظهرها فيصطدم ثدياها ببعضهما فتتهيج، ثديها يسطع نورًا، تقلِّبه بكفِّها — جميل وشهي يشبه طاسة العسل — تبكي الأزهار ويعلو نبض نسغها، تبكي الجدران على أنوثة محبوسة.

قالت: ادخل عليَّ وعلى غفوة النباتات، ادخل على رسم الأفق، وادخل على شمس زناري — انفلتَ عندما ذكرتُ اسمك — ادخل على طعامي، لعلي أصالح أفواج الداخلين إلى الآخرة.

أمامي ميزان أزن به الكلمات ... تفضل:

هذه كلماتكَ التي على لسانك وفي قلبك في كفة، وهذه الريشة في كفة، الميزان يصعد وينزل وما زال كذلك.

سبعة صولجانات في يدي وأسد قوي يزأر في الظلام. كنوزي تحرسها ثعابينُ تخرج من أفواهها النيران.

تقفين على بوابة المدينة وبيدكِ السوط

كل مَن أخطأ ينال عقابه ولا يدخل ... شربت المياهُ يديكِ فأصبحتا كالغيوم. خاتمُك يدور، أشباح مصائرنا تنفصل.

ذهبت إلى شارع «أسماء» وسألت عن كتابي، ذهبت إلى صيدلية ثم إلى نار السرير وقبلت جلمودتي نصف قبلة.

لي معها نهار أشم فروه الآن وأشم ثرياه الخفية. لي معها نهار نسبح في خلاياه، ونشم كبده وعدساته، ولي صحوة الثدي كأرنب، وغفوته كقطة.

قلتُ أدخل عليكِ وأنتِ في البارون (غرفة ٣٠٧) أو في بيتي، قالت هاتِ خاتمكَ وهات مشطك وهات ملابسك كلها ... هات الزعفران أشمه.

تعبرين أجنة النجوم وأجنة المياه بدفتيك، أدخل في فراديس يديكِ اللتين بدأتا تنسحبان داخلَ جسدكِ ... قدماكِ تنسحبان داخل جسدِكِ، أثداؤك ... تحولتِ إلى أفعًى كونية، وتكورتِ حتى لامس ذيلُكِ فمَكِ يا نمُّو.

كل شيء ساكن إلا قلبكِ وفمكِ وأنفكِ والزعفران، جسدكِ دفوفٌ حمراء وبيضاء، وليف لدن، جسدكِ عنب فخم، جسدكِ شبوط يتدلى، جسدكِ شم الماس وأسطول يتقدم فيَّ.

أفتحُ المجامرَ ... كل شيء مهيَّأ: الأزهار. النباتات. المسجل. النحاس. الفراش. وعين الحوت تلمع.

شعرُك يسيل خضابه فوق السجادة وفوق الكتب وعلى كأس العرق. ذاب الذهب في عروقي واتصل بها وبي المطر. وتلطَّفَ قلبي فتاه في المعاني الغامضة الكثيفة بين كتفَيها.

طلعٌ يتطايَر مِن الأوراق على الأوراق وجسدانِ مثل غابةٍ يحيطها نشيدٌ أعمًى.

انكشف الغطاء وكان البرد شديدًا، جسدكِ
مكوَّرٌ يا أناهيت مقرفصةٌ في الفراش، ركبتاكِ
قُربَ رأسكِ ... يدَيَّ فوق ركبتَيكِ.

الساعة السابعة

أغدقي عليَّ من كفَّيكِ.
أغدقي عليَّ من مذراتكِ،
وارفعي قلبي لمقامكِ.
العالم لبس خُضرتَكِ،
وأنت تحكمين مَن فيه بنقطةٍ من جسدك.
مركبُكِ في أحلكِ أوقاتِه، مركبكِ قد يتحطَّم
يا أناهيت ساعة مرورك قرب الثعبان الكبير؛
ثعبان النوم والظلام، الثعبان يحيط سريركِ.
على طرف السرير تجلس إلهة السحر تقرأ تعاويذها ورقاها ملفَّحةً بعباءةٍ سوداءَ، وفي
يدها قدح بخور وزئبق:
قيِّدوا هذا الثعبان بطعنات السكاكين.
قيِّدوه بحبلي.
تنقلب أناهيت على سريرها بفزع، يمر مركبها،
والثعبان يتلوى. تلال عالية وتماثيل صيانةِ
المدنِ تقف مرحبةً بكِ.
جسدُكِ مخيط بالذهب وعقلُكِ ينبض بالمطر.
أنتِ قدرة عسى البحر يفيض.
أنتِ روح انزلي إلى الآبار وابذري.
متى يأتي وقت كيل الكلمات، ثانيةً، لتزني كلامي؟
ومتى يأتي وقت كيل القلوب لتزني قلبي؟
ميزاني للبشر العابرين.
ميزانُكِ وقوف العالَمِ على قدمَين.
وأنتِ التي تحكمينه مِن نقطةٍ في جسدكِ.

تجزي أناهيت التلال والتماثيل رافعةً ذيلَ السم إلى الأعلى، العقرب التي تخطر في الرمال وتتألم، مبيضها معلق عند ظهرها وما زال وقت خروج أبنائها مِن ظهرها مبكرًا ... كانت ترعى النساء الناثرات الشعور إلى الشرق ... شعيرةُ استنزال المطر ما زالت في البراري وهي الإلهة المشرفة عليها ...
انقلبت أناهيت في السرير على بطنها رافعةً
رجلها مثل عقرب يمشي، وسقَطَ الندى على الشراشف ... تحسَّسَت يدي التي كانت تحت ظهرها تغزل الندى.

الساعة الثامنة

عبرت مدافن السماء.
عبرت أكفان الكتان المطروحة أمامها.
كانت أشواق مركبها، تتأجج
أرواحُهم، تحيِّيها ولكنَّها صامتة لا تجيب.
أبسط كفي لرأس السماء ورأسِكِ كي يستريحا معًا. عيناكِ غائرتان بالدموع ...
متى نلتقي؟
ما زال الليل طويلًا.
شهرت الأكباشُ قرونَها أمام العروش البائدة.
غلَّقت أناهيت القرون على الجهات الحمراء
للشمال، والبيضاء للجنوب، والزرقاء للشرق،
والصفراء للغرب.
عبرت مهبط الأفود.
حرَّاس أسماكك في المياه.
تتحولين إلى ذئبة وتلمسين جراح المرضى فتشفى. أنتِ الطبيبة يا أناهيت، وأنا في الليل ألِّع وجوه التماثيل وأيديها. لتحنَّ يدُكِ على أسباط الحقول ولتشبع مِن لطفِكِ الطيور.
تخرج منك قافلةُ الحرير وقافلة البجع المهاجر.
أنت حليفة الرماح التي تتقدم وهج السنين
تتمطى أناهيت في السرير وتسمع جرس الهاتف يرن فترفعه:
ألطِّفُ بحري بمركبك ... هل تسمعين؟

سمِعَت صوتَ الهاتف، رفعَت السماعة ... وشوشةُ المياه في الأسلاك ... أعادت السماعة دون أن تغلقها ... أمواج البحر تخوض، احتضنت المخدة. يدي تغطي جسدها العاري بشرشف وتنظر.

الساعة التاسعة

يمر قاربها بهدوء
تستمر ربات النجوم بالغناء.
نواويس فوق ضفاف المياه، نواويس مَن يا أناهيت؟ نواويس العامرية تحمل شمعًا وآسًا بخَّرتها يداكِ من وجع.
كانت قرابينهم في ضفاف دجلة واقفةً، حشد من النادبين والنادبات، لم يَعُد دجلة نهرًا ... صار سماءً تتحول فيه النجوم.
كان بيتكِ قرب الفجيعة ... وكنت أبكي من الخوف ... لكنَّكِ لم تعذريني ... كان هيام السماء بكِ فريدًا وقاسيًا.
عبرت قوافلهم في التوابيت والسلال الندية.
دفعت الرفائيم إليَّ لكي يرعوا بدني وروحي. وعلى ضفاف دجلة كنت أدق آخر مسمار في ناووسي المزخرف الكبير وأكسر مبخرتي وربابي.
أعرف أن عصرًا انتهى وابتدأ عصر.
ألمُّ شظايا الحروب وأدفنها عَلَّ برصًا في هذه البلاد يختفي. ما الذي دفع بنا إلى كل هذه المسالخ؟
لبوة تخطف بين النواويس وتبكي.
ما الذي جرى يا أناهيت؟ ماذا في يد الوقت؟ مشاعل خارجة من الأفواه تضيء الطريق ومركبها مرَّ بين خلايا السماء وبين رماد الأوتار التي كانت تنطفئ في بغداد.
صوت مدافع من بعيد وصوت انفجار مهول، اشتعل الأطفال والسحاب ...
فزعت أناهيت وجلست وسط سريرها ثم عادت إلى النوم، يدي على قلبها الذي يخفق بسرعة.

الساعة العاشرة

أتبعها
أنا الذي لا مركب لي ولا شراع ... أتبعها.

سوف توقعني في شباكها إن أفقتُ وإن لم أُفِق، الذاهبة إلى أقصى جسدها، الذاهبة باتجاه الشرق.
يجري النهر عميقًا ومنحدرًا في أخاديد متعرجة، جرس كبير يعلن ذلك وحراس مدججون يركضون على الضفاف كي يمر مركبها سالمًا.
ترتفع في السماء نجمة شهار ... ترتفع الزُّهرة.
ترتفع إنانا وذيل وشاحها ما زال في الماء، ما زالت هي مغمضة العينَين ومكياجها ما زال على الرفوف ... لم تتزين بعد.
إله الضوء لوسيفر يستيقظ وثعبان كبير يلتف على أسيل المياه ويراقب جنين الفجر وهو يشق أغلفته.
ارفعي يا أناهيت قرون أبواقك في المدن.
سيجفل منك الندى والزمان.
لا أريد لها أن تتلفت وهي تخوض في رغوة الأفق وفي رغوة جسدها.
لا أريد لها أن تنفرط.
علبة زينتها مزينة بالمينا والفضة، صبغ أظافرها أحمر فاقع وعلى شفتَيها زهرة رمَّان.
قوتها في ارتفاع أردافها.
قوتها في دولة قامتها.
غرين أقدامها يلطخ الطبيعة ويلطخني.
تنفتح عيونها ... وتنفتح يدها فوق رأسها ويدي تدلِّك أفخاذها وسيقانها.

الساعة الحادية عشرة

أصيح ...
لا جدوى من حيواناتها التي لم تَعُد تسمع، ومن ثعابينِها التي بدأَت بالضمور، وأُسودِها التي شاخت، ومزاميرِها التي تعطَّلت.
الورد منطمر في جلدها.
شرابها يجف في الكئوس.
النجوم تغني وهي ممدة على أفق المياه.
النار حولها تحرق الأجساد وهي تتعوَّذ بالثعبان المعبَّد، والثعبان المجنَّح، أوسِّع قصري بخطاكِ إن ظهرت.

أناهيت ترمي على البراري ملابس نومها وشرشفها وسريرها.
أناهيت تتكحل وتزين قوامها.
يشتد احمرار الزهرة وتنبعث روائح الحياة من بعيد ...
في حضرتكِ ... ليتني يُعطَى لي قلبي فأدق.
في حضرتكِ ... ليتني يُعطَى لي مرجي فأجوب.
في حضرتكِ ... ليتني يُعطَى لي جناحاي فأطير.
في حضرتكِ ... ليتني تُعطَى لي أذناي فأسمع.
ليتني أخمد البحيرة في حضرتك ... ليتني أخمد الهواء في حضرتك ... ليتني تُعطَى لي عيوني ... ليتني يُعطَى لي فمي.
فمي لا يتكلم إلا بعد أن يسمعه فمك.
فمي لا يتكلم إلا بعد أن أكون في طعامك.
فمي لا يتكلم إلا بعد أن تكلميني.
فمي لا يتكلم إلا بعد أن ترسمي لي شكل فمي، تقفين أمام المرآة وتضعين أحمر الشفاه وتضعين العطور.
يدي تفتح طريقك.

الساعة الثانية عشرة

يجرُّ مركبَكِ، من فم الثعبان، اثنا عشر حارسًا.
كان مركبك مضمَّخًا بالأحمر والأسود ويجر خلفه ظلامًا آفلًا.
كانت الشوارع تلمع والمطر على وشك السقوط ...
وكانت الزُّهرة تشتد بريقًا لكي تعطيك سرها وتذهب.
سقطت في السيارة من السماء أقراطٌ مثمَّنة ... قلبك يخفق ورايات مركبك تخفق.
أبصرَتكِ الأيام ففزعت من ترابها وتعلقَت كفانوس في ضبابٍ قديم ... مركبها عند جبل «باخو».
يجر مركبك اثنا عشر ملكًا باتجاه الأفق الشرقي للسماء.
يتحد جسدك مع جسد الشمس وتطيرين.
فينيق يشق زجاج السماء باتجاه بيتي.
يرشق جسدك الفينيق بعصاه فتؤذن المنارات.

يرشق القباب فتنفلق وتنغلق، يرشق مياه دجلة فتسيل عذبةً ويصفق النخيل.
النخيل الذي هو أنتِ، جسدك الأحمر يطوي الزمان ويتعوَّذ.
الطيور تسجد عند عرشك وخدم يحملون لك العرش ... اهتفي لها يا كل المياه.
الأسماك تداعب مقدمة مركبك وأنت في مقدمة المياه خضراء كأنك حجر عتيق.
ما زلتِ تجذبين الندى،
وأنت في أول شهقات الأفق
تسمعين غنائي يناديك من بعيد:
أصوغ فمي وأنا أتكلم عنكِ.
أصوغ عيوني وأنا أنظر إليك.
أصوغ أقدامي وأنا أتقدم نحوك.
أصوغ يدي ...
أصوغ ...
أصوغ ...

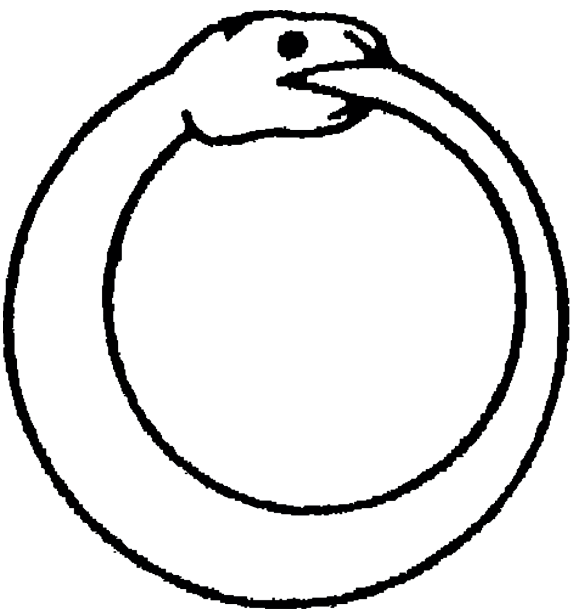

الغلاف الأخير: أناهيت

أصوغ فمي وأنا أتكلم عنكِ.
أصوغ عيوني وأنا أنظرُ إليكِ.
أصوغ أقدامي وأنا أتقدَّم نحوكِ.

أصوغ يدي وأنا ألمسكِ.
أصوغ رئتي وأنا أتنفَّسكِ.
أصوغ نهاري وأنا أتشمَّسكِ.
أصوغ مصيري وأنا أتبعُكِ.
أصوغ عقلي وأنا أفكِّر بكِ.
أصوغ العالَمَ وأنا أحبُّكِ.

هنـــداوي